

النهار 1988

الكتاب: المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901

المؤلف: عبد الرؤوف سنو

الناشر: معهد الإنماء العربي، 445 صفحة

مراجعة: سمير أبو حمدان

عبد الرؤوف سنو يتقفى مصالح ألمانية في سوريا وفلسطين

صدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت كتاب، ربما الأول من نوعه ، عن "المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901 للدكتور عبد الرؤوف سنو، ومن الطبيعي القول إن هذا الكتاب أول محاولة تتصف بالشمول والموضوعية، لدراسة المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين: السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية. وإذ حدد المؤلف حقل الدراسة في الفترة بين 1841 و1901، فإن الأزمة المصرية، كما يسميها (1831-1840)، محطة هامة في التسرب الغربي إلى السلطنة العثمانية والأقطار العربية الخاضعة لها.

ولعل الأهم في تلك الفترة تلك المعاهدة الأولى بين بريطانيا والدولة العثمانية، وأطلق عليها اسم معاهدة "بلطا - ليمان" في 1838، ويذكر في هذا الصدد أن المعاهدة شكلت الخطوة الأولى، من الغرب في اتجاه السلطنة. ولبروسيا (المملكة الألمانية الكبيرة) بمشاركتها في مؤتمر لندن عام 1840 لحل المسألة المشرقية، سلكت أول الطريق التي شقتها نحو الشرق عامة، وسوريا وفلسطين خاصة. وكان أن توج الدخول الألماني إلى المشرق بزيارة عاهل ألمانيا وليم الثاني لهذين البلدين، في نهاية القرن الماضي. ويعتبر المؤرخون - وبينهم الدكتور سنو - أن زيارة وليم الثاني لم تمثل، وحسب، للنفوذ الألماني طبيعته وقوته في المشرق، بل كان الهدف الأساس منها إبراز الدور الذي تنويه ألمانيا على الصعيد العالمي.

قسم الدكتور سنو دراسته التاريخية إلى أحد عشر فصلاً على النحو التالي: مطرانية القدس البروسية - الإنكليزية المشتركة، رواد التبشير الإنجيلي الألماني في الشرق الأدنى (نشاطات إرسالية الحجاج لإخوة سان كريشونا في فلسطين)، دار الأيتام السورية، نشاطات شماسات الكيزررفرت في فلسطين، جمعية بيت المقدس، مشاريع بروتستانتية أخرى في فلسطين، النشاطات البروتستانتية الألمانية في لبنان، نشاطات الكاثوليك الألمان في لبنان، العلاقات التجارية والنشاطات الاستيطانية قبل تأسيس الرايش الألماني في 1871، المصالح التجارية والاقتصادية الألمانية في سوريا وفلسطين منذ تأسيس الرايش حتى بداية القرن العشرين، وأخيراً المصالح السياسية الألمانية في سوريا وفلسطين.

ويوضح لنا مؤلف الكتاب أن الحافز الأساس هو تتبعه وملاحظته للنفوذ الذي حققته ألمانيا في سوريا وفلسطين من جوانبه المتنوعة، وخاصة الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية كاشفاً، في ذلك كله، عن الأبعاد الحقيقية للتغلغل السياسي الألماني في المنطقة، وكان ابتداءً ثقافياً وانتهى

سياسياً اقتصادياً. ولعل أبرز ما فعله المؤلف أنه ألقى ضوءاً على التحول المتدرج للأنشطة الألمانية من مجالها الثقافي إلى مجالها السياسي والاقتصادي، بحيث يمكن القول أن الأنشطة الثقافية كانت أداة فعالة في تمهيد الطريق أمام النفوذ الألماني الذي أصبح على قدر من الاتساع والفعل منذ أواخر القرن التاسع عشر. ومن أجل ذلك ثمة مكان بارز لمثل هذه الأنشطة الثقافية في دراسة الدكتور ستور.

وفي الأخير، أن ثمة حداً كبيراً من المؤلف لتأتي دراسته على جانب من الشمول والموضوعية. ويبدو لنا من الموضوعات عنده ومن أسلوب المعالجة، أنه أنجز دراسة مرجعية لما لا يزال يحتاج إلى كثير من البحث والمعالجة.